الإسكندرية عند ابن جبير

د.فاتن محمد الشيخ

أستاذ مشارك – قسم السياحة
المعهد العالي السياحة والفنادق
"السيوف" الإسكندرية- جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
فاتن محمد الشيخ ، الإسكندرية عند ابن جبير.-دورية كان التاريخية.- العدد الثالث عشر ؛ سبتمبر ٢٠١١.
ص ٢٩ – ٣٥. (www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

عرف المسلمون في العصر الإسلامي الأسفار والرحلات ، والتي تعرف في عصرنا الحديث بالسياحة والسفر. هذا وإن تعددت الأغراض من السفر والرحلات قديما[١] وإن اختلفت المسميات ، فلقد اشتهر منها ما يعرف في الوقت الحاضر بالسياحة الدينية ، وهي من أهم مقومات صناعة السياحة ، وعلى أساسها يتوجه العديد من السياح بغرض الرحلات الدينية ، وفي مقدمتها التوجه إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج[٢] ، ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة ، كذلك يتوجه المسيحيون إلى الأماكن المقدسة ، وغيرها من الكنائس الشهيرة والأديرة المعروفة.

وكانت رحلة ابن جبير من بلاده بالأندلس "أسبانيا" وبالتحديد[٣] وبالتحديد من غرناطة ، بغرض الحج ، وقد توجه للحج ثلاث مرات ، الأولى سنة ٥٧٨هـ \ ١١٨٢م وعاد منها سنة ٥٨١ هـ \ ١١٨٥م لتستغرق رحلته ثلاث سنوات. أما الثانية فكانت عند استرداد بيت المقدس من يد الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين الشهيرة ، فقرر ابن جبير القيام برحلته الثانية للحج في سنة ٥٨٧ هـ\١١٩١م إي بعد أن مكث في بلاده ست سنوات. أما رحلته الثالثة فكانت بعد موت زوجته "عاتكة"[٤] وعن ذلك يذكر ابن الخطيب: ثم رحل الثالثة بعد موت زوجه عاتكة .. وكان كلفه بها جمًا فعظم وجده عليها فوصل مكة وجاور بها طويلاً ثم بيت المقدس ، ثم تحول لمصر وإسكندرية فأقام يحدث ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه"[٥].

وتهتم الدراسة بالفترة التي عاشها ابن جبير بالإسكندرية وقوله فيما شاهده بها ، من أماكن وآثار ، والفنادق التي كانت تعد أماكن لإقامة السياح التي تعرف "بنزل الغرباء"[٦] في ذلك الوقت. لذا كان علينا إلقاء الضوء على ابن جبير نفسه من حيث أصله ونشأته وتعاليمه ومشيخته وتعريف بأهم وأشهر تلاميذه ومن روى عنه من السكندريين ، كذلك توضيح أهم مؤلفاته وأشعاره لنكون على بينة ممن تقوم الدراسة على أقواله ، وما شاهده في رحلته ، خاصة وأن رحلته الثالثة والأخيرة أستقر بعدها ليقيم بالإسكندرية إلى أن مات ودفن بها ٦١٤هـ \١٢١٧م[٧] ، ويوجد ضريح ابن جبير بالإسكندرية بالمنطقة "المعروفة بسيدي جابر الشيخ" حيث عرف ابن جبير عند أهل الإسكندرية بهذا الاسم.

تعريف بابن جبير

هو: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير. وهو من أبناء ضمر ة بن بكر بن مناه ابن عبد كنانة أندلسي شاطبي بلنسي مولده ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة ٥٤٠هـ وقيل سنة ٥٣٩هـ \١١٤٤م ببلنسية[٨] ، المعروف بسيدي جابر الشيخ الأندلسي وبضريح ابن جبير الموجد في منطقة سيدي جابر حاليا لوحة توضح أصله ونسبه كما جاء في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وكتاب بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس عن ابن جبير الأندلسي المعروف باسم سيدي جابر الأنصاري ، المتوفى بالإسكندرية. عن نيف وسبعين سنة.

وكان ابن جبير أديبًا بارعًا وشاعرًا فاضلاً نزيه الهمة كريم الأخلاق له مؤلفات عديدة فكتب وهو في مدينة سبته عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، وكتب وهو في غرناطة لعدد من ذوى قرابته ثم رحل إلى المشرق ودار بينه وبين أدباء عصره كثير من المخاطبات[٩] تظهر فيها براعته وإجادته وعظيم نظمه ، كذلك كان نثره بديع سلس المعاني.

دورية إلكترونية محكمة.. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

ومن أشهر من صحبه في رحلة الحج من الأندلس للحجاز "الحجة الأولى" صاحبه أبى جعفر بن حسان[١٠] سنة ٥٨١ هـ\١١٨٥م.

علمه ومشيخته:

روى بالأندلس عن أبيه وعن أبى عبد الله بن عروس، وتعلم العربية من أبى الحجاج ابن يسعون، ومنحه الإجازة أبو الوليد ابن سبكة وغيره من العلماء فكان من أشهرهم: ابن الجوزي ورئيس الشافعية بأصبهان وهو صدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الخجندي والأصبهانى من أئمة[١١] الكتاب. ومن أشهر من تتلمذ على يد ابن جبير من علماء أهل الإسكندرية هو "رشيد الدين أبو محمد عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري[١٢]، وأبو إسحاق بن مهيب وغيرهما من العلماء.

شعره ومؤلفاته:

تنسب أشعار لابن جبير بحجم ديوان أبى تمام، وكان جزء من ديوانه هذا قد سماه "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح" وذلك رثاء لزوجته، وجزء من أشعاره سماه "نظم الجمان في التشكي من أخوان الزمان"[١٣]، وقصائد أخرى منها ما كتبها عند مشارف مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من الأشعار.

ومن مؤلفاته كتاب رحلته الشهيرة المعروف "برحلة بن جبير"، كما أنه اشتهر ببراعته في الفقه والحديث والأدب، وعن ذلك يذكر بعض المؤرخين: "ثم تحول لمصر والإسكندرية فأقام يحدث ويؤخذ عنه إلى أن لحق بربه. كما سبق ذكره[١٤]. وبالإضافة إلى رحلته المشهورة، اشتهر أيضاً بقصيدتان للسلطان صلاح الدين الأيوبي، هذا إلى جانب ما كتبه من حكم وأقوال في أبيات شعرية.

نذكر منها:

وشاهدت في الأسفار كل عجيبة ... فلم أر من قد نال جدًا بجده
فكن ذا اقتصاد في أمورك كلها ... فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة ... جرت بقضاء لا سبيل لرده[١٥]

وقصيدته التي وجهها إلى صلاح الدين الأيوبي مادحًا له وشاكيا من عسف الحرس مع الحجاج ومن هذه القصيدة:

رفعت مغارم مكس الحجاز ... بإنعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد ... فهان السبيل على الغابر[١٦]

وفي أبيات أخرى توضح المقارنة بين أحوال الحجاج بمصر والحجاز يذكر ابن جبير:

وما نال الحجاز بكم صلاحًا ... وقد نالته مصر والشام[١٧]

ذلك لأن صلاح الدين الأيوبي قد أزال الرسوم المفروضة على الحجاج والتي تعرف "برسم مكث المضروب على الحجاج" وقد أوردها بن جبير من جملة تفاصيل رحلته، فكان يستعرض ما شاهده من معاناة من قبل الحرس والقائمين على تحصيل رسم الحج وغيرها من التفتيشات والأمور المتعلقة بذلك، والمتتبع لأمر رحلة أبن جبير يجده يشرح بالتفصيل مسار رحلته حتى وصوله إلى مدينة الإسكندرية وهنا لنا ملحوظة هامة: فمن المعروف أن ابن جبير قدم من الأندلس راكبًا البحر ومارًا بالعديد من المدن المطلة على البحر الأبيض المتوسط. وعن بداية سفره يذكر: " ابتدى بتقييدها يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشهر شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة على متن البحر بمقابلة جبل شلير .. منه على سبته .. وألفنا بها مركبًا للروم الجنوبيين مقلعًا إلى الإسكندرية .. وظهر لنا بر صقلية"[١٨].

وما يعنينا في هذا الصدد هو تعليق أبن جبير نفسه فإنه لم يشعر بالارتياح والأمان كما شعر به عند وصوله للإسكندرية[١٩]. فقد عبر عن ذلك بقوله: "والله كفيل بالتيسير والتسهيل.. جزيرة أقريطش... وبين هذه الجزيرة المذكورة وبين الإسكندرية ستمائة ميل أم نحوها... ظهر لنا البر الكبير المتصل بالإسكندرية المعروف بين الغرب، وحاذينا منه موضعًا يعرف بجزائر الحمام على ما ذكر لنا، وبينه وبين الإسكندرية نحو الأربعمائة ميل... وفي صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور أطلع الله علينا البشرى بالسلامة بظهور منار الإسكندرية على نحو العشرين ميلا والحمد لله على ذلك حمدا يقتضي المزيد من فضله وكريم صنعه"[٢٠].

وفي تكملة للنص يذكر بقوله : " وفي أخر الساعة الخامسة منه كان ارساؤنا بمرسى البلد ... فكانت إقامتنا على متن البحر ثلاثين يومًا ... والحمد لله على ما من به من التيسير والتسهيل"[٢١]. ولنا في هذا النص وقفة هامة وهي: أن الغرض الأساسي الذي قدم من أجله ابن جبير هو الحج أي الوصول إلى بلاد الحجاز ومنها لمكة المكرمة وباقي مناسك الحج. وهذا أمر طبيعي أن يصل للإسكندرية وهي أحد طرق الحج المستخدمة في ذلك الوقت. ولكن الذي يدعوا إلى الاهتمام والدراسة هو قول ابن جبير عند عرضه بل فرحته بوصوله للإسكندرية بقوله: "اطلع الله علينا البشري بالسلامة بظهور منار الإسكندرية "[٢٢]، وكأنه وصل إلى دياره واكمل ما قدم من أجله، فلم يذكر مثل هذا عند قدومه لصقلية أو أقريطش "كريت" مثلا، بل ذكرها عند وصوله إلى الإسكندرية فقط، وكأنه في بيته ووسط أهله، وهذا ما يستحق الدراسة وإلقاء الضوء عليه.

كما أن ذكره وتحديده لعدد الأيام التي هي ثلاثين يومًا فهو أحصاها وكأنه وصل فعلاً للمكان المراد وكأنه ليس أمامه الكثير للوصول لأرض الحجاز وهو الهدف الأساسي من الرحلة لكنه شعر بما يشعر به كل قادم أو غريب يصل إلى مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصة وكأنه صاحب المكان.وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على طبيعة البلاد في مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصة دون تحيز، وهذا يتضح لزائرها على مر العصور وحتى اليوم، رغم أن قوله هذا جاء في رحلته الأولى[٢٣] لكن هذا الانطباع ظهر في تعليقاته وكلماته أثناء عرضه لتفاصيل رحلته.

فإذا كان الغرض من السفر لدى بن جبير هو الوصول إلى مكة المكرمة ونظرًا لطبيعة موطنه بالأندلس فكان مروره بمصر عن طريق الإسكندرية المطلة على البحر الأبيض المتوسط أمرا طبيعيًا، إلا أن للإسكندرية طابعًا مميزًا عن باقي الموانى المطلقة على البحر الأبيض المتوسط فهي عروس البحر الأبيض، وأهلها يتميزون بحب الضيف. وإلا ما ترك ابن جبير مدن العالم ليستقر بالإسكندرية. وأما عن الفنادق التي كانت بمدينة الإسكندرية في ذلك الوقت فمنها ما نزل به بن جبير ويعرف بفندق "الصفار" وهو بمقربة من مكان يعرف بالصبانه.

وإن كان قد حدثنا بن جبير عن بعض المضايقات التي واجهته من جملة الإجراءات المتبعة من قبل المسئولين عن الحجاج وإنهاء بعض الإجراءات المتعلقة بذلك وهو ما يعرف بالأمناء من قبل السلطان صلاح الدين، حيث يتم إثبات وتدوين ما يجلبه معهم الحجاج من أمتعة وغيرها من المتطلبات الشخصية، ومن جملتهم ما كان مع ابن

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

جبير وقد أطال في وصف ما وجده من تعسف الأمناء وجمعهم الأموال باسم رسم الحج والزكاة ، المفروضة عليهم في ذلك الوقت. وعن ذلك يذكر : "فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين ... وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسئل كل واحد عما لديه من سلع ليؤدي الزكاة ... دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل"[٢٤].

وفي بعض الأحيان يلتبس الأمر على أبن جبير ، فينسب ما يلاقيه من حرس السلطان إلى سكان الإسكندرية فبعد وصفه للإسكندرية وعجائبها يذكر أمر اعتراض حرس السلطان للحجاج وعن ذلك يذكر بقوله "لما وصل إليها الركب جاءت شرذمة من الحرس ... فمدوا في الحجاج أيديهم وفتشوا في الرجال والنساء ". وفي قول آخر "سنة ٦١١ هـ \ ١٢١٤م " أنه ورد إلى الإسكندرية في ركب عظيم من المغاربة برسم الحج فأمر الناظر على البلاد بمد اليد فيهم للتفتيش والبحث عما بأيديهم ففتش الرجال والنساء[٢٥].

ودليلنا على أن الأمر قد اختلط على أبن جبير وهو ثابت من قول أبن جبير نفسه ، عند ذكر أمر وصوله إلى جدة ببلاد الحجاز وكيف كان أمر التفتيش من حرس السلطان صلاح الدين بقوله: "فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالاً وطعاما يأمر بتوصيلها إلى مكثر أمير مكة فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة...". ونص آخر: "فبعد أن ضمن الحجاج بعضهم بعضًا وثبت أسمائهم في زمام عند قائد جده على بن موفق ، حسبما نفذ إليه ذلك من سلطانه)[٢٦] وجميعها أمور إجرائية برسم الحج وحماية الحجيج.

إذن الأمر لا يتعلق بالسكان أو بمدينتهم سواء كانت الإسكندرية أو غيرها بل هي إجراءات قائمة من قبل السلطان في أمر رسم الحج أو ما هو معروف في الوقت الحاضر بالإجراءات الجمركية إن صح التعبير ، ودائما كان يرى ابن جبير أن السلطان لا يعلم بهذا الأمر وعن ذلك يذكر بقوله: "وهذا أمر يقع القطع على أن صلاح الدين لا يعرفه ولو عرفه لأمر بقطعه "[٢٧] وعن ذلك يذكر أيضًا: "ومن مفاخر هذا السلطان .. إزالته رسم المكث المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين[٢٨] فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استئذانها عنتًا مجحفًا .. باهظة .. فيلزم أداء الفريضة المعلومة وكانت سبعة دنانير ونصف من الدنانير المصرية وخمسة عشر دينارًا مؤمنية على كل رأس". ثم يستطرد بقوله: "وكان بجدة أمثال هذا ... لمن لم يؤد مكثه بعيذاب ". ويفهم من النص أن الضريبة أو الرسوم المفروضة على الحجاج زمن الفاطميين كانت عالية القيمة مرهقة للحجاج ، تدفع مرة بمصر وأخرى عند وصولهم للحجاز إذا لم تؤخذ من مصر. فرفع هذا صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية بمصر كما سبق ذكره.

ابن جبير والإسكندرية وأهم آثارها

يصف ابن جبير الإسكندرية بحسنها وسعة ميادينها فيقول: "ما شهدنا بلد أوسع مسالك منه ولا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه وأسواقه ... "[٢٩] وفي وصفه للإسكندرية أمر يستحق الدراسة فقد ذكر بقوله " ومن العجب في وضعه أن بناءه تحت الأرض كبنائه فوقها وأعتق وأمتن لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض".

فالأمر الأول الذي يدعو للبحث والدراسة هو المباني تحت الأرض ، التي عاينها ابن جبير ويصفها بأنها أمتن من المباني فوق الأرض ، وكأنها مدينة أخرى للإسكندرية تحت الأرض. الأمر الثاني هو قوله بأن الماء يخترق جميع ديار الإسكندرية وأزقتها وإذا كان هو فعلا ماء عذب قادم من نهر النيل ليخترق المدينة من تحتها ، فهذا أمر يستحق الدراسة أيضا خاصة وأن ورد في أحد النصوص التاريخية عن هذا الأمر ، أن بالإسكندرية خطوط للمياه العذبة تحت الأرض تم توصيلها وهاهنا يذكرها ابن جبير الذي زار الإسكندرية بل استقر ومات بها سنة ٦١٤هـ[٣٠] وهو أمر جدير بالدراسة[٣١].

فقد ورد ذكر المياه العذبة تحت الأرض بالإسكندرية عند المقريزي بقوله : "سنة ٨٥٠م (٢٣٥ هـ) فأقيم "يوسانيوس"[٣٢] في أول خلافة المعتز[٣٣] فأقام إحدى عشر سنة ... وعمل في بطركيته مجاري تحت الأرض بالإسكندرية ، يجري بها الماء من الخليج[٣٤] إلى البيوت[٣٥]. ويتضح من النص ما يؤكد ما ذكره ابن جبير عن الماء العذب تحت الأرض بالإسكندرية وهو أمر بالغ الأهمية عن تاريخ وعمارة مدينة الإسكندرية. فإذا كانت الدراسة قد أثبتت ذلك فإن هذا يتطلب ويحث الباحثين والمتخصصين على المزيد من البحث والدراسة.

وفي موضع آخر لابن جبير يذكر أنه من الآثار الباقية النافعة للمسلمين زمن صلاح الدين أن بنى قناطر في غرب مصر ، وهي نحو أربعين قوسًا من أقواس القناطر في ذلك الوقت ، يبدأ من رصيف محازى للنيل من جهة الغرب ، والقنطرة متصلة بالصحراء التي تنتهي عند الإسكندرية ، بغرض أن تستخدم كمسالك وممرات تحت الأرض للوصول للإسكندرية وحماية ثغرها من الأعداء عند استحالة الوصول إليها[٣٦].

ومن بين مشاهده ابن جبير بمدينة الإسكندرية ، كثرة السواري الرخامية وتعددها ، لدرجة أنه من الممكن أن يجدها ليس فقط في الشوارع الرئيسية بل وفي ممرات أو أزقة الشوارع ، لكنه لم يذكر أسماء الشوارع التي شاهد فيها تلك السواري العظام شاهقة الارتفاع ، وعنها يذكر بن جبير بقوله: "وعاينا فيها أيضًا من سواري الرخام وألواحه كثيرة وعلوًا واتساعًا وحسنًا مالا يتخيل بالوهم".[٣٧] ويفهم من النص أن هذه السواري المصنوعة من الرخام شديدة الارتفاع جميلة المظهر بشكل لا يمكن وصفه من الحسن والبهاء.

ثم يذكر عنها أيضًا بقوله: "حتى أنك تلقي في بعض الممرات بها سواري يغص الجو بها صعودًا لا يدري ما معناها ولا لما كان أصل وضعها"[٣٨]. وهنا يسأل ابن جبير بعد وصف السواري عن سبب وجودها أو المعنى والمغزى في ذلك وقد غاب عنه أنه يصف الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط فمن المنطقي أن يجد مجسم السواري بالرخام شعارًا لأشهر ميناء بحري عرفه التاريخ من العصر اليوناني والبطلمي واليوناني ، جلبت للإسكندرية من جبل رخام بالجانب الشرقي من صعيد مصر عرفت بالأسوانية. وفي تفسير لابن جبير عن ذلك يذكر بقوله: "وذكر لنا أنه كان عليها في القدم مبان للفلاسفة خاصة ولأهل الرئاسة في ذلك الزمان" [٣٩]. ويفهم من النص السابق أن ابن جبير يرى نظرًا لضخامة السواري وعرضها وارتفاعها أنها كانت في السابق مباني لأهل العلم خاصة للفلاسفة أو لأهل الرئاسة ويقصد بهم أكابر البلاد ، بل يصل قوله أنه يمكن أن يكون أماكن للرصد[٤٠].

ونرى أنه إذا كان شكل وصورة السواري منتظم وليس به من الهدم أو آثاره من شئ فهي مشاهد جمالية زينت بها شوارع الإسكندرية أما إن

كان بها آثار بناء قديم فهي كما قال يرجع سبب البناء لإقامة أو تواجد الفلاسفة أو أكابر البلاد في العصور القديمة.

منـار الإسكندريـة:

يصف ابن جبير منار الإسكندرية القديم بقوله: "وما شاهدناه من عجائبها المنار الذي قد وضعه الله عز وجل على يدي من سخر لذلك، آية للمتوكلين وهداية للمسافرين لولاه ما اهتدوا في البحر إلى بر الإسكندرية[٤١]. ووصف المنار فعلاً كما قال ابن جبير: "الخبر عنه يضيق" أي مهما تحدثنا عنه لا يسعنا الحديث عن وصفه، ونحن إذ نلقي الضوء على استخدام وصف ابن جبير في تحديد شكل المنار القديم بالإسكندرية، للقيام من قبل المختصين بإعادة إنشاء منار الإسكندرية بصورة متطورة لكنها تلتزم بعبق الماضي، من حيث الصورة الجمالية والطراز المعماري، لعلها فكرة ترى النور لتنمية السياحة بمدينة الإسكندرية وإدارة مقوماتها من الناحيتين الآثارية والسياحية في نفس الوقت – تمامًا كما كان الحال في فكرة إعادة بناء مكتبة الإسكندرية القديمة، بالشكل الذي تم عليه من تطور وإبداع استحق تقدير العالم من حولنا ويصل إليها السياح من كل بلاد العالم، كذلك نود أن تصل فكرة إعادة بناء منار الإسكندرية من قبل المختصين، مشاركين معهم كل من علماء التاريخ والآثار لتحديد وصف المنار كل في مجال تخصصه ليخرج لنا منار الإسكندرية ليشمل القيمة التراثية والمقومات الحديثة المتطورة ليكون قيمة فعلية في مجال الملاحة البحرية بشكل حضاري ومعماري مميز.

ويذكر ابن جبير أن في أعلى منار الإسكندرية مسجد يعتقد في بركته كما أن الناظر من خلال المسجد على مدينة الإسكندرية يرى مشهدًا لا يمكن وصفه من الجمال والروعة[٤٢] وقد دخل ابن جبير هذا المسجد وصلى فيه في الخامس من ذي الحجة سنة ٥٨٧هـ\١١٩١م.

الإسكندرية مركز الإشعاع الثقافي والحضاري

مدارس الإسكندريـة:

كما شاهد ابن جبير منار الإسكندرية، شاهد أيضًا منارة العلم بالإسكندرية نقصد بها المدارس وأماكن العلم، وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله "ومن مناقب هذا البلد ومفاخره ... المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكنًا يأوي إليه ومدرسًا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه وإجراء يقوم به جميع أحواله."[٤٣] ويفهم من النص أن الإسكندرية كانت ولا تزال مركز إشعاع ثقافي وحضاري، يصل إليها الوافدون لطلب العلم من مختلف الأقطار، ويجد فيها طالب العلم جميع أنواع العلوم التي يريد دراستها، بل ويتم توفير المسكن له ومدرسًا يتتلمذ على يديه ويلقنه العلم المراد دراسته، وأما ما ذكره بقوله: "إجراء يقوم به جميع أحواله" أي الجراية من الخبز والطعام أو الأموال التي تعطى لهم كمنحة مقدمة لتعين الدارس على معيشته خاصة وهو غريب عن البلاد.

كما أنه يفهم من النص، كثرة عدد الفنادق أو نزل الغرباء في ذلك الوقت بالإسكندرية بالقدر الذي يسمح بإقامة الأعداد الكبيرة من طالبي العلم، وهو نوع آخر من أنواع السياحة التي تعرف في عصرنا الحاضر بالسياحة الثقافية، فقد عرفها المسلمون منذ العصور الإسلامية الأولى والتي عرفت في عهدهم بطالبي العلم[٤٤]. ويفهم من النص عند قوله: "الأهل ... والتعبد يفدون من الأقطار" أن نوعا آخر من السياحة الدينية في عصرنا الحديث، عرف زمن ابن جبير، وهو انتقال الفرد من مكان إلى مكان آخر بعيد عنه بغرض التعبد، ويقصد به التفقه في الدين وعبادة الله عز وجل تمشيًا مع السنة النبوية الشريفة. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حث المسلمين على طلب العلم "اطلبوا العلم ولو في الصين"[٤٥]. فكان سفرهم من بلادهم إلى الإسكندرية طلبا للعلم "سياحة ثقافية" أو طلبًا للتفقه في الدين "سياحة دينية" وهذا نستخرج منه أيضًا أن الإسكندرية لم يكن موقعها الجغرافي هو الذي أدخلها كنقطة مرور للسياحة الدينية فقط، خاصة للقادمين من المغرب الإسلامي وما حولهم، للوصول لبلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وإنما كانت الإسكندرية أيضا نقطة وصول للسياحة الدينية لطالبي التفقه في الدين نظرًا لتوافر العلماء والمحدثين والفقهاء بها، ومن جملتهم ابن جبير فيما بعد عند استقراره بالإسكندرية، وعن ذلك يذكر ابن الرقيق من جملة ترجمة لسان الدين ابن الخطيب عن ابن جبير بقوله: "وكان رحمه الله من أعلام العلماء العارفين بالله"[٤٦].

الإسكندرية وحماماتها زمن ابن جبير

ومن الأمور المتعلقة بخدمة الغرباء القادمين "السُياح" ضرورة توافر الحمامات، وهي لم تكن تتوافر داخل المنازل في ذلك الوقت للاستحمام، فكان بناء الحمامات من الأمور الهامة والمتعلقة باستكمال متطلبات المقيم من أهل البلاد أو من خارجها. ولذلك خصصت الحمامات للدارسين أو الغرباء القادمين للإسكندرية بغرض طلب العلم وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله: "أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك"[٤٧] ويفهم أن: تحديد أو تعيين حمامات أمر بالغ الأهمية، حرصًا على عدم مضايقة أهل البلاد في حماماتهم، فرأوا أنه من الأفضل تخصيص حمامات للغرباء يدخلونها متى أرادوا كأحد أنواع الخدمات المقدمة لهم.

المستشفيات زمن ابن جبير بالإسكندرية

ولم يكتفي الأمر عند هذا الحد؛ بل تم تخصيص مستشفى لعلاج من مرض منهم وتوفير الأطباء للكشف عليهم ومتابعتهم من الناحية الصحية وتعيين أشخاص في خدمتهم وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله: "ونصب لهم مارستانًا[٤٨] لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء[٤٩]. كما يتضح أنه بالإضافة للأطباء هناك من يقوم بمساعدة ورعاية المرضى من الوافدين لطلب العلم أو التفقه في الدين وهم بمثابة هيئة التمريض في عصرنا الحاضر خاصة وقد ذكر ابن جبير ما يفيد خدمتهم للأطباء في أمر المرضى من حيث طعامهم وعلاجهم وهو دور مكمل للأطباء حتى يتم الشفاء.

وفي الحقيقة؛ أن مثل هذه المستشفيات وبهذه الخدمات الطبية الخاصة بالوافدين هذا أمر يستحق التقدير والدراسة أيضا، فلم يكن علاجهم من جملة المستشفيات العامة، أو التي يتم علاج أهل الإسكندرية فيها، لكن منعًا للتكدس ومنعًا لمضايقة ومزاحمة أهل البلاد في مستشفياتهم وتيسيرًا على القادمين، وإمعانًا في ضمان جودة رعايتهم الصحية فكان بناء وتخصيص المستشفى أو المارستان الخاص بهم.

دورية إلكترونية، محكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

فكان ذلك زمن الناصر صلاح الدين الأيوبي[٥٠]. وعنه كان ابن جبير قد كتب الأبيات الشعرية، إعجاباً به فاتح القدس وقائد المسلمين وميسر أمر الحجيج بل أن ابن جبير في كثير من المواضع عند كتابة رحلته ينسب أي عمل جليل لصلاح الدين، وفي حالة حدوث أي سلب أو إساءه يؤكد عدم دراية صلاح الدين ولو وصل لعلمه لرفع ذلك الظلم، فكان ابن جبير فخورًا بصلاح الدين كقائد ومحرر القدس وكسلطان على البلاد ومؤسس الدولة الأيوبية في مصر، ومسئول عن أمر الحجاج بصفته حاكم مصر والشام، ومسئول عن بلاد الحجاز، فكان يرسل الأموال والطعام لأمير مكة لعدم فرض رسوم على الحجاج تيسيرًا لهم، خاصة وأن أمر الحجاج يتطلب الأموال والنفقات لحماية الحجاج ورعايتهم وأمنهم وما إلى ذلك.

ومزيدًا من الاهتمام ورعاية الوافدين، فقد خُصصت الأموال للوافدين بالإسكندرية، الذين لم يفضلوا الإقامة داخل المستشفيات ،واختاروا حصولهم على الرعاية الصحية داخل محل إقامتهم، وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله "وقد رتب أيضًا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عند الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة، وينهون إلى الأطباء وأحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم"[٥١].

ويفهم مما سبق؛ أنه قد خصصت أموال تحت مسمى "رسم الزيارة" للوافدين من الغرباء على مدينة الإسكندرية ويترفعون أن يدخلوا المارستان لسبب ما "يتنزهون" فخصصت هذه الأموال، للرعاية الطبية الخاصة بهم في أماكن إقامتهم لعلاجهم، تمامًا كالزيارة المنزلية للأطباء في الوقت الحاضر، لمعالجة المرضى فتكون مدفوعة الأجر بأن يأتي أشخاص "يأتي أقوام برسم الزيارة للمريض" فيكون الواسطة بين المريض والطبيب، لمباشرة العلاج ومتابعته وليس الطبيب وإلا كان يذكر أطباء وليس أقوام.

ومن الخدمات المقدمة للوافدين كعابري سبيل بالإسكندرية من غير المقيمين تقديم "الخبز" ويوفر لهم يوميًا طوال فترة تواجدهم وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله "عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغًا ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنسانًا أمينًا – فقد ينتهي إلى ألفي خبزة أو أزيد بحسب القلة أو الكثرة ... ولهذا كله أوقاف من قبله حاشي ما عينه من زكاة العين لذلك وأكد على المسئولين لذلك متى نقصهم من الوظائف المرسومة شيء أن يرجعوا إلى صلب ماله".[٥٢] ويتضح من النص عدة أمور هامة:

أولا: أنه تم تخصيص جراية يومية من الخبز تقدم للمغتربين في أماكن إقامتهم في الفنادق، أو نزل الغرباء في ذلك الوقت، وإن اختص ابن جبير ذكر المغاربة بصفة خاصة، فذلك أمر اهتم به لمعرفة أحوال الغرباء من المغاربة بالإسكندرية من ذوي بلدته فيذكر: "واستنزل أحمد بن حسان منا ليسأل عن أنباء المغرب"[٥٣] لذلك فإنه يقتصر حديثه عن المغاربة لاهتمام ابن جبير لأحوالهم على وجه الخصوص دون بقية الأجناس، تمامًا كما في عصرنا الحاضر في حالة السفر والسياحة يسئل الفرد عن أحوال بني جنسه والخدمات المتوفرة لهم في البلد المضيف، ليكون على بينة بأمور هذا البلد والخدمات المقدمة لهم وما إلى ذلك من الأمور الخاصة، فإذا كانت الخدمات متوفرة فالرعاية شاملة لكل الأجناس، ما دام المبدأ متواجد لتوفير الرعاية والخدمات.

ثانيًا: إذا كان المقرر تقديم خبزتين للفرد في اليوم ليصل إلى ألفين من الخبز يوميًا، فهذا يعني أن عدد المغتربين القادمين للإسكندرية للأغراض السياحية المختلفة، يزيد عن ألف سائح أو مغترب من المغاربة فقط، فما بالنا بأعداد الأجناس الأخرى، من حيث الإقبال على زيارة الإسكندرية ومن حيث السعة الاستيعابية لإقامتهم، وهو أمر جدير بالدراسة يؤكد على كثرة أعداد الوافدين على الإسكندرية، وإلا ما كان لحاكم البلاد أن يبنى لهم أي الغرباء أو الوافدين مستشفى خاص برعايتهم الطبية كما سبق ذكره.

ثالثًا: إن نفقات الرعاية والجراية وكل ما يقدم للوافدين بالإسكندرية، حددها حاكم البلاد في ذلك الوقت وهو صلاح الدين الأيوبي، بأن خصص لذلك الأموال الخاصة بالزكاة في الجزء الخاص بعابري السبيل من تقسيم أسهم الزكاة، كما قرر فرض وقف لهذا الغرض حيث ذكر ابن جبير بقوله: "لهذا كله أوقاف من قبله"[٥٤] أي من قبل صلاح الدين، وذكر أنه في حالة أن أموال الأوقاف أو الزكاة، لم تفي ونفقات خدمة المغتربين بصفة عامة "الوظائف المرسومة" أي المقررة لهم، أن يؤخذ من مال صلاح الدين الخاص، من الخزانة العامة للأموال بالإسكندرية".

وفي الحقيقة أن ذلك الإجراء عفى أهل الإسكندرية من تحمل أي نفقات أو مغارم أو بمعنى أوضح لم يتكبدوا أعباء مالية تستقطع منهم لتوفير تلك الخدمات للوافدين[٥٥]، وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله: "وأما أهل بلده ففي نهاية من الترف واتساع الأحوال، لا يلزمهم وظيفة البتة"[٥٦].

وأمر أخر يثير انتباه ابن جبير وهو: أن الإسكندرية عند ابن جبير مدينة لا تنام[٥٧] فهو يذكر بقوله: "ومن الغريب أيضًا في أحوال هذا البلد تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار في جميع الأحوال"[٥٨] ويفهم من ذلك أن تصاريف الحياة اليومية من سبل المعيشة ومتطلبات الحياة، من بيع وشراء وما إلى ذلك يتوافر ليلاً نهارًا بالإسكندرية، فالأسواق ليلاً تنار بالمصابيح والشموع وتذخر بحركة البيع والشراء تمامًا كما هو الحال في وضح النهار.

مساجد الإسكندرية عند ابن جبير

وعن مساجد الإسكندرية يوصفها بكثرة المساجد فيقول: "وهو أكثر بلاد الله مساجد حتى أن تقدير الناس لها يطف فمنهم المكثر والمقلل ... فمنهم من يقول ثمانية آلاف ومنهم من يقول غير ذلك ... منها الأربعة والخمسة في موضع[٥٩]. وهذا دليلاً على كثرة عدد مساجد الإسكندرية، أما عن القائمين على رعاية المساجد فيتولى مسئولية هذه المساجد أئمة، تخصص لهم الأموال، ومقدارها خمس دنانير مصرية في الشهر، وعن ذلك يذكر ابن جبير بقوله: "بأئمه مرتبين من قبل السلطان فمنهم من له الخمسة دنانير مصرية في الشهر وهي عشرة مؤمنية ومنهم من له فوق ذلك ومنهم من له دونه"[٦٠].

ويتضح من النص أن العملة المصرية هي الدينار المصري أما الدنانير الأندلسية بلد صاحب الرحلة هي الدنانير المؤمنية، كذلك يتضح قوة العملة المصرية بأنها تساوي ضعف الدينار المأموني، فالدينار المصري يشترى بدينارين مما يدل على ارتفاع مستوى المعيشة في مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصة، والانتعاش الاقتصادي رغم الخروج من الحملات الصليبية وفتح بيت المقدس

دورية إلكترونية، محكمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

زمن تواجد ابن جبير ورحلته للحج ، عن ذلك يذكر بقوله: "ولما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي قوى عزمه على أعمال الرحلة الثانية فتحرك إليها من غرناطه ... لتسع خلون من ربيع الأول من سنة ٥٨٥هـ ، ثم آب على غرناطة يوم الخميس لثلاث عشر خلت من شعبان سنة ٨٧هـ ثم رحل الثالثة من سبته بعد موت زوجه ... ثم تحول لمصر وإسكندرية فأمام يحدث ويؤخذ عنه إلى أن لحق ربه "[٦١].

وعن زي أئمة المساجد في ذلك الوقت فكانت كما وصفها ابن جبير بقوله "ويأتي للخطبة لابسًا السواد على رسم العباسيين وصفة لباسه بردة سوداء عليها طيلسان أسود وهو الذي يسمى بالمغرب الإحرام ، وعمامة سوداء متقلدًا سيفًا[٦٢]. فعندما يصعد للمنبر يضرب الأرض بسيفه مرة وفي وسط صعوده ، يضرب الثانية وعند تمام صعوده يضرب الثالثة ، كأنه إيذان بالإنصات ، وهذا أمر الأئمة في مصر وبلاد الحجاز في ذلك الوقت[٦٣].

وللإسكندرية دور في حماية الإسلام والمسلمين ، يصفه ابن جبير تحت عنوان "ما استدرك خبره مما كان أغفل" فوجد أنه من الأهمية ذكر ما كان قد شاهده في الإسكندرية. ولم يذكره في حينه ، بل وجد أنه أمر هام يجب توضيحه ، بأن رأي تجمعا عظيمًا من الناس قد خرجوا لرؤية أسرى من الروم دخلوا الإسكندرية ، يركبون الجمال وقد جعلت وجوههم منكسة إلى مؤخرتهم وحولهم الطبول والأبواق تشهيرا بهم ، لما كان من فعلهم المشين بأن عزموا على ركوب البحر قاطعين سبل الحجاج ، وأحرقوا مراكبهم سواء من كانت بعيذاب بأرض مصر أو بجدة بأرض الحجاز ، وأما من ناحية البر فقد سطوا على قوافل الحجاج من أرض مصر وأحرقوا وأفسدوا ، بل وصل بهم الأمر إلى أنهم كانوا عازمين على دخول المدينة المنورة وتدميرها وهي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كادوا أن يصلوا للمدينة المنورة إلا أن رجال من مصر والإسكندرية على وجه الخصوص ، لحقوا بهم وأسروهم وقدموا بهم للإسكندرية للتنكيل بهم ومن ثم معاقبتهم[٦٤] وهو دور قام به قواد الإسكندرية في حماية الإسلام والمسلمين وحماية مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحماية حجاج بيت الله الحرام بمكة المكرمة.

الخلاصة والتوصيات

قدمت الدراسة مدينة الإسكندرية زمن بن جبير من واقع رحلته المعروفة باسمه ، سنة ٥٨٧ هـ\ ١١٩١م. خاصةً وأنه قد أستقر وعاش ما بقى له بعد حجته الثالثة بالإسكندرية إلى أن مات ودفن بها سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ، في ذلك الموضع المعروف حاليًا بسيدي جابر الشيخ ، وقد اشتهرت المنطقة المحيطة بضريحه باسمه عند أهل الإسكندرية ، فحرفت من جبير إلى جابر.

فكانت دراستنا تتبع منهج "البحث العلمي" والمنهج الوصفي والتحليلي ، متبعين أشكال المقارنة للتحقيق والإثبات في الروايات ، خاصة عند توافر الدلائل والإثباتات قدر المستطاع ، كما هو الحال عند ذكر تمتع مدينة الإسكندرية بشبكة للمياه العذبة تحت الأرض ، قد توفرت لها من نهر النيل ، وهو عمل يستحق الدراسة في حد ذاته ، خاصة وقد ورد ذكره عند المقريزي في كتابه تاريخ الأقباط ، وكذلك قد أوضحت الدراسة معاينة ابن جبير لما كان من مباني تحت الأرض بالإسكندرية ، ووصفها بأنها مدينة أخرى كاملة المباني تحت الأرض[٦٥] ، ومن الأمور التي توصى بها الدراسة إعادة بناء منار الإسكندرية تمامًا كإحياء مكتبة الإسكندرية القديمة لتكون على الطراز المعماري السكندري القديم من حيث الشكل وعلى أعلى مستوى من التطور من حيث التقنية الحديثة ، لتكون فخرًا للملاحة البحرية بالإسكندرية ، وحديث العالم من حولنا كما كانت في الماضي.

وتوصية أخرى توصي بها الدارسة ، وهي تتبع آثار تلك القناطر والممرات تحت الأرض بالإسكندرية التي قام بها صلاح الدين الأيوبي ، لحماية ثغر الإسكندرية من الأعداء في حالة استحالة الوصول إليها فتستخدم للوصول وحماية الإسكندرية ، وإن اختلف الغرض في العصر الحديث فإننا نهتم به للاستفادة من الناحية الآثارية والمعمارية والأمنية إن صح التعبير ، كذلك أثبتت الدراسة استخدام شعار مجسم من الرخام للسواري وكانت تزين بها شوارع الإسكندرية شعارًا لثغر الإسكندرية يرجح أنه من العصور القديمة اليونانية والبطلمية والرومانية.

وقد أوضحت الدراسة مدى الانتعاش الاقتصادي التي كانت عليه مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصه زمن رحلة ابن جبير وطوال إقامته بها حتى سنة ٦١٤ هـ \١٢١٧م. وبالإضافة لهذا فقد أثبتت الدراسة أن عدد الوافدين لمدينة الإسكندرية كان يقدر بالآلاف وأن أسباب وفودهم قد تعددت ، فمنهم المار على البلاد بغرض الحج "سياحة دينية" ومنهم طالب العلم "سياحة ثقافية". ومنهم بغرض التفقه في الدين "دينية ثقافية" وغيرها من أنواع السفر والرحلات.

كما أوضحت الدراسة تخصيص الرعاية الصحية للوافدين أو الغرباء كما كانوا يعرفون في ذلك الوقت ، بإنشاء المستشفيات الخاصة بهم وتوفير الأطباء والرعاية والعلاج على نفقة البلاد ، وتوفير المساعدين للأطباء لخدمة ورعاية المرضى منهم ، وتخصيص الأموال اللازمة لذلك. وغيرها من الأمور التي اختصت بها مدينة الإسكندرية التي فضلها ابن جبير على جميع ما شاهد من مدن طوال حياته ليستقر بالإسكندرية.

الهوامش:

(١) من كتاب صناعة السياحة ، والسفر ترجمة خلود هيمن الخطيب- هلا للنشر والتوزيع ، ص١٩.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص٢١.

(٣) بلاد الأندلس اسم يطلق على سكان شبه جزيرة أيبريا في العصور الإسلامية وأيضًا مصطلح يطلق على استمرار النفوذ الإسلامي فتذكر بالأندلس ، فيلاحظ عدم ذكر الأندلس في الفترة الزمنية الواقعة بعد الحكم الإسلامي فتذكر بأسبانيا.

(٤) هي عاتكة أم المجد بنت الوزير أبى جعفر الوقشى ، حزن بن جبير على فراقها حزنًا شديدًا. ابن جبير رحلة ابن جبير ص ٨.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب- الإحاطة من تاريخ غرناطة- في ترجمة للمصنف ص٨.

(٦) المصدر السباق نفسه

(٧) المقريزي- تقي الدين بن أحمد — المقفي الكبير.

(٨) ابن الخطيب - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- وآخرون.

(٩) أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير- رحلة ابن جبير- ذاكرة الكتابة- الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ١٩٩٩م.

(١٠) عن أبى جعفر بن حسان يذكره المقريزي بقولة: "فكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب ، وله فيه ... مفيد مع المشاركة الكاملة في فنون العلوم.. وتوفى

دورية إلكترونية، محكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أبو جعفر هذا بمراكش ولم يبلغ الخمسين سنة" —المقريزي -ترجمة خاصة عن ابن جبير من كتاب رحلة ابن جبير- ص١٥ .. المرجع السابق نفسه.

(١١) المصدر السابق نفسه.

(١٢) ابن جبير - المصدر السابق ص ٨.

(١٣) ابن جبير - المصدر السابق ص ٩.

(١٤) ابن الخطيب- الإحاطة- في ترجمة لابن جبير - المصدر السابق نفسه.

(١٥) ابن جبير - المصدر السابق —ص ٢٣.

(١٦) أبن جبير - المصدر السابق نفسه.

(١٧) أبن جبير - المصدر السابق نفسه ص ١٥.

(١٨) ابن جبير —المصدر السابق نفسه ص ٣٤ — ٣٦.

(١٩) المصدر السابق ص ٣٧.

(٢٠) ابن جبير —رحلة ابن جبير ص ٣٧

(٢١) المصدر السابق نفسه —ص ٣٨

(٢٢) المصدر السابق نفسه

(٢٣) ابن جبير —المصدر السابق ص ٣٨.

(٢٤) عن رحلاته الثلاثة بغرض الحج يذكر المقريزي أن من بين أسباب قيامه برحلة الحج الثانية أن صاحب غرناطة استدعى ابن جبير ليكتب عنه كتابًا وهو على شرابه للخمر وطلب بشدة من ابن جبير أن يشاركه شرب الخمر ، فرفض تمامًا ألا أن حاكم غرناطة أمره في تعنت على شربه للخمر ، ففعل وفي المقابل أعطاه حاكم غرناطة أموال على ذلك فأراد ابن جبير أن يكفر عن ذلك بأن ينفق هذه الأموال في الحج. (المقريزي -نفتح الطيب).

(٢٥) المصدر السابق ص ٢٩.

(٢٦) المصدر السابق نفسه ص ٦٧—وما بعدها.

(٢٧) المصدر السابق نفسه ص ٥٧.

(٢٨) العبديين اسم يطلق على حكام الدولة الفاطمية للتشكيك في صحة نسبهم لآل البيت النبوي الكريم وانتسابهم لفاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وزوج على بن أبي طالب رضي الله عنه ، خاصة وأن صلاح الدين الأيوبي قبل تأسيس دولته بمصر ، كان آخر وزير فاطمي للدولة الفاطمية الشيعية في مصر ، ومن ثم استقل بمصر وأسس دولته السنية —أبن الأثير الكامل في التاريخ .

(٢٩) ابن جبير ص ٣٩.

(٣٠) عن وفاة أبن جبير بالإسكندرية يذكر أن قبره من المناطق المجابة الدعاء عنده وعن تلك الأقوال والتبرك بالقبر ذكر بن جبير نفسه في أبياته:

من الله فسأل كل أمر تريده فما يملك الإنسان نفعًا ولا ضرًا

(٣١) المقريزي تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإيريزي للعلامة المقريزي ت٨٤٥هـ ١٤٤١م دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب —دار الفضيلة —القاهرة ١٩٩٨م ص١٠٤.

(٣٢) هو سانونيوس الأول البطريرك الخامس والخمسون للكنيسة بالإسكندرية — دليل المتحف القبطي ١٦٤/٣ تاريخ البطاركة (٢-٢/ ٧٠ من البطاركة).

(٣٣) المعتز بالله العباسي اشتد في عصره تسلط نفوذ الأتراك -أبن البطريك جـ٢ ص٦٦.

(٣٤) مقصود بالخليج هو خليج نهر النيل وكان هناك موسم كسر الخليج عند اكتمال منسوب نهر النيل ١٦ ذراع (المقريزي — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ٢ ، ص ٢٤٥.

(٣٥) المقريزي -تقي الدين بن أحمد المقريزي —تاريخ الأقباط ص ١٠٤.

(٣٦) ابن البطريق ج ٢ ص ٧٦٨.

(٣٧) ابن جبير ص ٣٩.

(٣٨) المصدر السابق نفس الصفحة- أما عن السواري الرخام يذكرها المقريزي: في الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمد و غيرها..التي يشميها أهل مصر الأسوانية .. و منها العمد التي بالإسكندرية (المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٣٢٠)

(٣٩) المصدر السابق نفسه.

(٤٠) ابن جبير ص٣٩.

(٤١) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤٢) المصدر السابق ص ٤٠.

(٤٣) المصدر السابق ص ٤٠.

(٤٤) المصدر السابق نفسه.

(٤٥) صحيح مسلم.

(٤٦) من أشعاره في الزهد كأحد العارفين بالله قوله:

رب إن لم تؤتني سعة .. فأطو عنى فضلة العمر

لا أحب اللبث في زمن .. حاجتي فيه إلى البشر

فهم كسر لمتجبر .. ما هم جبر لمنكسر ابن جبير صـ ٢٥

(٤٧) المصدر السابق لنفسه.

(٤٨) معنى بيمارستان ، هي كلمة فارسية الأصل من مقطعين بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان أي المكان الخاص بالمرضى للاستشفاء.

(٤٩) ابن جبير —ص ٤٠.

(٥٠) قد كتب الأبيات الشعرية إعجابًا به فاتح القدس وقائد المسلمين وميسر أمر الحجيج ، بل أن ابن جبير في كثير من المواضع عند كتابة رحلته ، ينسب أي عمل جليل لصلاح الدين وفي حالة حدوث أي سلب أو إساءة ، يؤكد على عدم دراية صلاح الدين ، ولو وصل لعلمه لرفع ذلك الظلم ، فكان أبن جبير فخورًا بصلاح الدين كقائد وحاكم لمصر.

(٥١) ابن جبير المصدر السابق نفسه.

(٥٢) ابن جبير - المصدر السابق ص ٤٠.

(٥٣) المصدر السابق ص ٣٨.

(٥٤) المصدر السابق ص ٤٠.

(٥٥) عن أمر الغرباء وحرص صلاح الدين على رعايتهم ، حيث كان يتفقد حوائجهم فوجد بعضهم لا يأخذ من الخدمات التي تقدم ، خاصة وقد نصحه أحد المقربين أن كثير من الغرباء الوافدين ليسوا في حاجة للجراية ولا للأموال ، ويأخذونها دون حاجة لهم بها فتفقد ذات يوم أمرهم فوجدهم ، قد قطع عنهم رسومهم أو خدماتهم المقررة ، فغضب لذلك وأمر بتقديمها وعن ذلك يذكر: "فتلقى منهم جماعة قد لفظتهم الصحراء المتصلة بطرابلس وهم قد ذهب رسومهم عطشاً وجوعًا ... فأعلموه أنهم قاصدون بين الله الحرام" - ابن جبير —رحلة بن جبير —صـ ٤١

(٥٦) المصدر السابق ص ٤٠.

(٥٧) المصدر السابق ص ٤١.

(٥٨) المصدر السابق نفسه.

(٥٩) المصدر السابق نفسه ص ٤١.

(٦٠) المصدر السابق نفسه.

(٦١) المصدر السابق ص ٨.

(٦٢) المصدر السابق ص ٤٧.

(٦٣) عن ذلك يذكر ابن جبير: "والمؤذن الزمزمي رئيس المؤذنين بالحرم الشريف ساعيًا أمامه لابسًا بثياب السواد أيضًا وعلى عاتقه السيف يمسكه بيده. دون تقلد له... فعند صعوده ... ثم ضرب بنعل سيفه... ووقف داعيًا مستقبل الكعبة" رحلة أبن جبير —ص ٨٤.

(٦٤) ابن جبير —المصدر السابق ص ٥٤ ، ٥٥.

(٦٥) ابن الظهيرة- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة- تحقيق مصطفى السقا و كامل المهندس- وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث ١٩٦٩ نسخة بمكتبة الإسكندرية رقم-٢٧٥٣٤-٠٩٦٢ — ص١٥٢- ولدى المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — ج١ نسخة بمكتبة الإسكندرية رقم -١٩٩٦٤.

دورية إلكترونية، محكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449